ســـــجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٧ —

[تتمـــة]

— ٥ —

ولعليّ بن الجهم قصيدة أخرى قالها في الحبس ، منها :

توكلنا على ربّ السماء ... وسلمنا لأسباب القضاء
ووَطّنّا على غير الليالي ... نفوساً سامحت بعد الإباء
وأفنية الملوك محجّبات ... وباب الله مبذول الفناء
هي الأيام تكلمنا وتأسو ... وتأتي بالسعادة والشقاء
حلبنا الدهر أشطره ومدّت ... بنا عقب الشدائد والرخاء
وجرّبنا وجرّب أوّلونا ... فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس خيرٍ ... وبعض الضرّ يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولّت ... ولم نسبق إلى حسن الثناء[1]

— ٦ —

ومن أروع وأرق ما قيل في الحبس قول محمد بن صالح العلوي ، وكان خرج على المتوكل فظفر به وسيّره إلى سرّ من رأى فحبس .

طرب الفؤاد وعاده أحزانه ... وتشعّبت شُعباً به أشجانُه
وبدا له من بعد ما اندمل الهوى ... برق تتابع مَوْهناً لمعانُه
يبدو كحاشية الرداء ودونه ... صعب الذرى متمنع أركانُه
فدنا لينظر أين لاح فلم يُطق ... نظراً إليه وردّه سجّانُه
فالوجد ما اشتملت عليه ضلوعه ... والماء ما سحّت به أجفانُه
ثم استعاذ من القبيح وردّه ... نحو العزاء عن الصّبا إيقانُه
وبدا له أن الذي قد ناله ... ما كان قدّره له ديّانُه[2]

(١) الأغاني : ترجمة علي بن الجهم .
(٢) الأمالي والنوادر ج ٣ ص ١٨٣

— ٧ —

ولابراهيم بن المدبر في حبسه أشعار حسان منها قوله في قصيدة أولها :

أدمـــوعها أم لؤلؤ متناثر ... ينـدى به ورد جنى ناضر

يقول :

لا توئسنك من كريم نبوة ... فالسيف يبنو وهو عضب باتر
هذا الزمان تسومني أيامه ... خسفاً وها أنذا عليه صابر
إن طال ليلي في الإسار فطالما ... أفنيت دهراً ليـــله متقاصر
والحبس يحجبني وفي أكنافه ... مني على الضرّاء ليث خادر
عجب له كيف التقت أبوابه ... والجودُ فيه والغمام الباكر
هلا تقطّع أو تصدّع أو وهى ... فعذرته ، لكنه بيَ قاخر[1]

— ٨ —

ولما غضب جعفر على ابن الزيات عذبه في التنور . وكان قد حبسه قبل تعذيبه في بيت . فوجد على الحائط قوله :

لعب البلى بمعالمي ورسومي ... ودُفنتُ حياً تحت ردم غموم
وشكوت غمي حين ضِقت ومن شكا ... كرباً يضيق به ، فغـــير ملوم
لزم البلى جسمي وأوهن قوتي ... إن البـلى لموكل بلزومي
أبنيّتي قلّي بكاءك واصبري ... فإذا سمعت بهـــلاك مغموم
فانعي أباك إلى نساء واقعدي ... في مأتم يبكي العيون وقومي

وقال في التنوّر الذي عُذّب فيه :

هيض عظمي الغداة إذ صرت فيه ... إن عظمي قد كان غير مهيّض
ولقـــد كنت أنطق الشعر دهراً ... ثم حال الجريض دون القريض[2]

— ٩ —

وبعث الإفشين إلى المعتصم من الحبس : « إن مثلي ومثلك يا أمير المؤمنين كمثل رجل ربّى عجلاً له حتى أسمنه ، وكبُر ، وحسُنت حاله . وكان له أصحاب اشتهوا أن يأكلوا من لحمه

(١) الأغاني ج ١٩ ص ١١٥ .
(٢) اليتيمة ص ٥٧٠ .